

يعتنى بذكر القراءات ومعانيها ويرد على الشواذ منها وما تحويه من تغيير
وتبديل لكتاب الله عز وجل.. (١)

وقبل أن نبين ذلك نريد أن نبين للقارئ الكريم .. معنى القراءات..

القراءات جمع قراءة . وهي فى الأصل مصدر (قرأ) يقال . قرأ فلان ،
يقرأ ، قراءة ..

أما فى اصطلاح علماء القراءات فهى ..

كما قال الإمام ابن الجزرى رحمه الله .. علم بكيفية أداء كلمات القرآن
واختلافها معزواً لناقله (٢) فالقراءات .. هى تلك الوجوه اللغوية والصوتية
التي أباح الله بها قراءة القرآن تيسيراً وتخفيفاً على العباد... (٣) وذلك أن
القرآن الكريم نقل إلينا لفظه ونصه كما أنزله الله تعالى على نبينا محمد -
ﷺ - ونقلت إلينا كيفية أدائه كما نطق بها الرسول - ﷺ - وفقاً لما علمه
جبريل عليه السلام - وقد اختلفت الرواة الناقلون فكل منهم يعزو ما يرويه
بإسناد صحيح إلى النبي - ﷺ - (٤)

وقد كانت خبرة الإمام الطبرى رحمه الله بهذا الفن خبرة كبيرة ظهر
أثرها بوضوح فى تفسيره .. يقول فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد

(١) راجع .. القول المختصر المبين فى منافع المفسرين .. للشيخ محمد الحمود النجدى ص ١٠ .

(٢) راجع .. منجد المقرئين ومرشد الطالبين .. لإبن الجزرى ص ٦١ ط القاهرة الطبعة الثانية ..
بتحقيق فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الحمى حسين الفرماوى .

(٣) راجع .. أثر القرآن والقراءات فى النحو العربى .. للدكتور محمد سمير اللىدى ص ٢٠٩ ط دار
الكتب الثقافية - الكويت .

(٤) راجع .. المقتبس من اللهجات العربية والقرائية .. للدكتور . محمد سالم نجيسن ص ٦٦ ط
القاهرة .

حسين الذهبي رحمه الله ... ولقد يرجع السبب في عناية ابن جرير بالقراءات وتوجيهها إلى أنه كان من علماء القراءات المشهورين .. حتى إنهم ليقولوا عنه إنه ألف فيها مؤلفاً خاصاً في ثمانية عشر مجلداً ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ وعلل ذلك وشرحه واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور وإن كان هذا الكتاب قد ضاع بمرور الزمن ولم يصل إلى أيدينا شأن الكثير من مؤلفاته (١) .. ويقول المستشرق جولد تسيهر .. ألف الطبري كتاباً مختصاً بهذا الفن في ثمانية عشر جزءاً جمع فيه كل القراءات الواردة في القرآن على وجه من الوجوه والشواذ كذلك وعالجها متفرقة بالنقد والتمحيص وفي ختام كل موضع يعقب الطبري بالقول المفصل المسبب سواء فيما يتعلق باختلاف القراءات أم باختلاف وجوه التفسير لا سيما في الأحوال التي تروى فيها أقوال متعارضة عن مصدر واحد. (٢)

وقد نتساءل .. وما أهمية المعرفة بالقراءات في عملية التفسير ..

يقول الدكتور .. مصطفى الصاوي الجويني رحمه الله ..

لا يخفى أن قراءة اللفظ على نمط معين من ترتيب الحروف وضبط هذه الحروف ضبطاً خاصاً - كل ذلك قد يوجه المعنى وجهات أخرى إذا ما اختلف ترتيب تلك الحروف أو حركات الضبط في هذه اللفظة عينها. ومن هنا كان اهتمام المفسرين بالقراءة لصلتها الوثقى بالمعنى (٣)

(١) راجع .. التفسير والمفسرون .. ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) راجع .. مذاهب التفسير الإسلامي .. لجواد تسيهر ص ١١٠ - ١١١ .

(٣) راجع .. مناهج التفسير .. للدكتور مصطفى الصاوي الجويني ص ٢٦٠ - ٢٦١ ط منشأة المعارف الإسكندرية.

ولكن ماذا يكون موقف الإمام الطبري من تلك القراءات الكثيرة المعروفة للقرآن .. سواء منها المشهور وغير المشهور ؟ أهو يقبلها جميعاً ؟ .. أم يقبل بعضها ويرفض بعضها؟ وهذه القراءات غير المشهورة .. ماذا يكون موقفه منها ؟ أتراه يرفضها بالضرورة.

والحق ... أن الإمام الطبري رحمه الله ..

لم يكن ليصادف صعوبة في إختيار القراءة التي يطمئن إليها ويعتمدها . وهو أيضاً حين يختار لا يختار بذوقه الخاص أو مزاجه الشخصي . بل يصدر هذا الإختيار عن القاعدة العامة الصلبة التي يصدر عنها دائماً في كل تفسيره وهي قاعدة الإجماع .^(١) فهو إذن يختار القراءة التي تظفر بالإجماع على صحتها وهو في الوقت نفسه لا ينسى أن يبرر وجاهة هذا الرأي المجمع عليه من حيث ما تؤديه القراءة من مضي ..

ففي قوله تعالى ﴿ ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ﴾^(٢)

(١) يقول فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد حسين الذهبي رحمه الله .. ما نصه
كذلك نجد ابن جرير في تفسيره يقدر إجماع الأمة ويعطيه سلطاناً كبيراً في إختيار ما يذهب إليه من التفسير .. فمثلاً عند قوله تعالى ﴿ .. فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ سورة البقرة آية (٢٢٠) .. ما نصه . فإن قال قائل : فأي النكاحين عني الله بقوله : ﴿ فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ النكاح الذي هو جماع ، أم النكاح الذي هو عقد تزويج ، قيل كلاهما وذلك أن المرأة إذا نكحت زوجاً نكاح تزويج ثم لم يطأها في ذلك النكاح ناكحها ولم يجامعها حتى يطلقها لم تحل للأول . وكذلك إن وطئها واطئ بغير نكاح لم تحل للأول . لإجماع الأمة جميعاً فإذا كان كذلك فمعلوم أن تأويل قوله ﴿ فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ نكاحاً صحيحاً ، ثم يجامعها فيه ثم يطلقها .. فإن قال . فإن ذكر الإجماع غير موجود في كتاب تعالى ذكره . فما الدلالة على أن معناه ما قلت . قيل الدلالة على ذلك إجماع الأمة جميعاً على أن ذلك معناه = راجع .. جامع البيان .. للطبري .. ج ٢ ص ٢٩٠ - ٢٩١ . والتفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٢١٢ .

(٢) الآية (١٧) من سورة التوبة .

قرأ عامة أهل المدينة والكوفة (مَسَاجِدِ اللّهِ) على الجماع .. وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين (مَسْجِدِ اللّهِ) على التوحيد بمعنى المسجد الحرام .

وهناك يقول الإمام الطبري .. وهم جميعاً مجمعون على قراءة قوله ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ ﴾ على الجماع لأنه إذا قرئ كذلك احتمل معنى الواحد والجماع لأن العرب قد تذهب بالواحد الى الجماع وبالجماع إلى الواحد «كقولهم - عليه ثوب أخلاق» (١)

وهكذا يصدر الطبري في اختياره للقراءة عن قاعدة الإجماع ثم يؤكد صحة هذا الإجماع كذلك من جهة المعنى والاستخدام اللغوي .

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور محمود بسيوني فوده ..

ومما يؤخذ عليه أنه أحياناً ما يذكر قراءتين متواترتين ثم يقوم بعد ذلك بتوجيهها وترجيح قراءة على أخرى وهو فيما أرى جراءة على كتاب الله قلده في ذلك بعض المفسرين الذين أتوا من بعده ومن المعلوم أن جميع القراءات المتواترة قرآن يتلى ويتعبد بتلاوته فكيف يستسيغ عالم كبير لنفسه أن يرجح قراءة متواترة على قراءة متواترة.. (٢)

ومن الأمثلة على ذلك نراه - رحمه الله - يقول عند تفسير قوله تعالى (مالك يوم الدين) (٣) مانصه.....

(١) راجع .. جامع البيان .. للطبري .. ج ١٤ ص ١٦٦ - ١٦٧ ط دار المعارف مصر .

(٢) راجع .. نشأة التفسير ونامجه ص ١١٩ .

(٣) الآية (الرابعة) من سورة الفاتحة .

القراء مختلفون فى تلاوة ﴿ملك يوم الدين﴾ فبعضهم يتلوه ﴿ملك يوم الدين﴾ وبعضهم يتلوه ﴿مالك يوم الدين﴾ وبعضهم يتلوه ﴿مالك يوم الدين﴾ بنصب الكاف وقد استقصينا حكاية الرواية عمن روى عنه فى ذلك قراءة فى كتاب القراءات وأخبرنا بالذى نختار من القراءة فيه والعلة الموجبة صحة ما اخترنا من القراءة فيه فكر هنا إعادة ذلك فى هذا الموضع إذ كان الذى قصدنا له فى كتابنا هذا البيان عن وجوه تأويل أى القرآن دون وجوه قراءتها ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب أن الملك من الملك مشتق وأن المالك من الملك مأخوذ فتأويل قراءة من قرأ ﴿ملك يوم الدين﴾ أن الله الملك يوم الدين خالصا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك فى الدنيا ملوكاً جبابرة ينازعونه الملك ويدافعونه الإنفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصغرة الأذلة وأن له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء كما قال جل ذكره وتقدست أسماؤه فى تنزيله ﴿يوم هم يارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾^(١) فأخبر تعالى أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار ومن دنياهم فى المعاد إلى خسار وأما تأويل قراءة من قرأ ﴿مالك يوم الدين﴾ فما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشير بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاک عن عبد الله بن عباس ﴿مالك يوم الدين﴾ يقول لا يملك أحد فى ذلك اليوم معه حكماً كملكهم فى الدنيا ثم قال ﴿لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾^(٢) وقال ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾^(٣) وقال ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾^(٤) (٥)

(١) الآية (١٦) من سورة غافر .

(٢) الآية (٢٨) من سورة التبا .

(٣) الآية (١٠٨) من سورة طه .

(٤) الآية (٢٨) من سورة الأنبياء .

(٥) راجع ... جامع البيان .. للطبرى ج ١ ص ٥٠ .

ثم ذكر الترجيح فقال ...

وأولى التأويلين بالآية وأصح القراءتين في التلاوة عندي التأويل الأول وهي قراءة من قرأ ﴿ملك﴾ بمعنى الملك لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك إيجاباً لانفراده بالملك وفضيلة زيادة الملك على المالك إذ كان معلوماً أن لا ملك إلا وهو مالك وقد يكون المالك لا ملكاً ويعد فإن الله جل ذكره قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله ﴿ملك يوم الدين﴾ أنه مالك جميع العالمين وسيدهم ومصالحهم والناظر لهم والرحيم بهم في الدنيا والآخرة بقوله ﴿الحمد لله رب العالمين - الرحمن الرحيم﴾^(١) فإذا كان جل ذكره قد أنبأهم عن ملكه إياهم كذلك بقوله ﴿رب العالمين﴾ فأولى الصفات من صفاته جل ذكره أن يتبع ذلك ما لم يحوه قوله رب العالمين الرحمن الرحيم مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة إذ كانت حكمته الحكمة التي لا تشبهها حكمة وكان في إعادة وصفه جل ذكره بأنه مالك يوم الدين إعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله ﴿رب العالمين﴾ مع تقارب الآيتين وتجاور الصفتين وكان في إعادة ذكر ذلك تكرار ألفاظ مختلفة بمعان متفقة لا تفيد سماع ما كرر منه فائدة به إليها حاجة والذي لم يحوه من صفاته جل ذكره ما قبل قوله ﴿مالك يوم الدين﴾ المعنى الذي في قوله ﴿ملك يوم الدين﴾ وهو وصفه بأنه الملك فبين إذا أن أولى القراءتين بالصواب وأحق التأويلين بالكتاب قراءة من قرأه ﴿ملك يوم الدين﴾ بمعنى إخلاص الملك له يوم الدين دون قراءة من قرأ مالك يوم الدين بمعنى أنه يملك الحكم بينهم ويفصل القضاء متفرداً به دون سائر خلقه.^(٢)

(١) الأيتار (الثانية والثالثة) من سورة الفاتحة.

(٢) راجع .. جامع البيان .. للطبري ج ١ ص ٥٠.

موقفه من القراءة المتواترة التي تتفق مع الرسم العثماني ...

لما كانت موافقة القراءة لأحد المصاحف العثمانية شرطاً لصحتها وقبولها كان لابد من بيان وجوب اتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف.. والإمام الطبري رحمه الله يقف بجوار القراءة المتواترة التي تتفق مع الرسم للمصحف الامام - ويضعف ما يخالفها.

ومن الأمثلة على ذلك تراه يقول عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿ اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم ... ﴾ (١)

ما نصه ... ثم اختلف القراء في قراءة قوله ﴿ مصراً ﴾ فقرأ عامة القراء مصراً بتنوين المصير واجرائه .. وقرأ بعضهم بترك التنوين وحذف الألف منه فأما الذين نونوه وأجروه فإنهم عنوا به مصراً من الأمصار لا مصراً بعينه فتأويله على قراعتهم ﴿ اهبطوا مصراً ﴾ من الانتصار لانكم في البدو والذي طلبتم لا يكون في البوادي والغيافي وإنما يكون في القرى والأمصار فإن لكم إذا هبطتموه ما سألتم من العيش .. وقد يجوز أن يكون بعض من قرأ ذلك بالإجراء والتنوين كان تأويل الكلام عنده اهبطوا مصراً البلدة التي تعرف بهذا الإسم وهي مصر التي خرجوا عنها غير أنه أجراها ونونها اتباعاً منه خط المصحف لأن في المصحف ألفا ثابتة في مصر فيكون سبيل قراعتة ذلك بالإجراء والتنوين سبيل من قرأ قواريرا - ﴿ قواريرا من فضة ﴾ (٢) منونة اتباعاً منه خط المصحف وأما الذي لم ينون مصر فإنه لاشك أنه عنى مصر التي تعرف بهذا الإسم بعينها دون البلدان غيرها. (٣)

(٢) الآية (١٦) من سورة الإنسان

(١) الآية (٦١) من سورة البقرة.

(٣) راجع .. جامع البيان ... للطبري ج ١ ص ٢٤٨ .

ثم يقول رحمه الله ... بعد ذلك ..

فأما القراءة فإنها بالآلف والتنوين ﴿ اهبطوا مصراً ﴾ وهى القراءة التى لا يجوز عندى غيرها لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين واتفاق قراءة القراء على ذلك ولم يقرأ بترك التنوين فيه واسقاط الألف منه إلا من لا يجوز الإعتراض به على الحجة فيما جاءت به من القراءة مستقيماً بينها.. (١)

جولد تسيهر... واقترانه على الامام الطبرى .. فى هذا الفن ..

بدا للمستشرق جولد تسيهر .. أن الإمام الطبرى كثير التسامح تجاه القراءات المختلفة فذهب إلى أنه إذا لم يمس اختلاف هذه القراءات جوهر المعنى مساساً هاماً سمح دون تردد بالقراءات المخالفة للقراءات المشهورة. (٢) ولو أن هذا حدث حقاً لكان الطبرى مناقضاً لنفسه أو متهاوناً فى قاعدة الإجماع الأساسية التى يصدر عنها .. وقد أشار جولد تسيهر إلى الموضع الذى استدل منه على هذا التسامح الذى زعمه الطبرى فى شأن هذه القراءات وهو فى تفسير قوله تعالى ﴿ ما نزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ﴾ (٣)

وقد أورد الإمام - كعادته - القراءات المختلفة فى هذه الآية فقال ...

اختلف القراء فى قراءة قوله ﴿ ما نزل الملائكة إلا بالحق ﴾ فقراء تلك عامة قراء المدينة والبصرة ما تنزل الملائكة بالتاء من تنزل وفتحها ورفع الملائكة بمعنى ما تنزل الملائكة على أن الفعل للملائكة وقرأ ذلك عامة قراء أهل

(١) راجع .. جامع البيان .. للطبرى ج ١ ص ٢٤٩ -

(٢) راجع .. مذاهب التفسير الإسلامى .. لجولد تسيهر ص ١١١ -

(٣) الآية (الثامنة) من سورة الحجر -

الكوفة ﴿ ما نزل الملائكة ﴾ بالنون في نزل وتشديد الزاي ونصب الملائكة بمعنى ما نزلها نحن والملائكة حينئذ منصوب بوقوع نزل عليها وقرأه بعض قراء أهل الكوفة ﴿ ما نزل الملائكة ﴾ والتاء في نزل وضمها على وجه ما لم يسلم فاعله ..

... ثم قال رحمه الله ...

وكل هذه القراءات الثلاث متقاربات المعانى وذلك أن الملائكة إذا نزلها الله على رسول من رسله تنزلت إليه وإذا تنزلت إليه تنزل بانزال الله إياها... (١)
ثم عقب الإمام الطبري ... رحمه الله .. على هذه القراءات بقوله ...

فبأى هذه القراءات قرأ ذلك القارئ فمصيب الصواب في ذلك (٢) وقد اكتفى المستشرق إجنسس جول تسيهر .. بهذا التعليق (٣) واستنبط منه ما ادعاه للطبري من تسامح ولكن بقية تعليق الطبري في نفس الموضع يقول «وإن كنت أحب ألا يعدوا القراءة المعرفة» (٤)

وهذا واضح في دلالة على أنه حتى مع تصويب تلك القراءات المختلفة كان يترد أسرع ما يكون إلى قاعدته العامة وهي تفضيل ما كان الإجماع منعقداً عليه وكانت له الشهرة.

(١) راجع .. جامع البيان .. للطبري ج ١٤ ص ٦ ط المطبعة الأميرية - الأولى سنة ١٣٢٨ هـ .

(٢) راجع .. جامع البيان .. للطبري ج ١٤ ص ٦ . ط الأميرية .

(٣) راجع .. مذاهب التفسير الإسلامي .. لجواد تسيهر ص ١١١ .

(٤) راجع .. جامع البيان .. للطبري ج ١٤ ص ٦ ط الأميرية .

موقفه من الإسرائيليات ...

معنى الإسرائيليات ..

لفظ الإسرائيليات . جمع مفردة إسرائيلية وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي نسبة إلى بنى إسرائيل.. والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافى لا لمصدره وإسرائيل.. هو يعقوب - عليه السلام - أى عبد الله وبنوا إسرائيل هم أبناء يعقوب ومن تناسلوا منهم فيما بعد إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد - ﷺ - وقد عرفوا « باليهود » أو « بيهود » من قديم الزمان أما من آمن منهم بعيسى فقد أصبح يطلق عليهم أسم « النصارى » وأما من آمن بخاتم الأنبياء فقد أصبح فى عداد المسلمين ويعرقون بمسامى أهل الكتاب... (١)

وإسرائيل .. كلمة عبرانية مركبة من « أسر » بمعنى عبد أو صفوة ومن « أيل » وهو الله فيكون معنى الكلمة عبد الله وصفوته من خلقه. (٢)

هذا .. ولو بحثنا عن المعنى الإصطلاحى للإسرائيليات أو المقصود منها لم نجد أحداً من المتقدمين تحدث عنه وإنما تناوله عدد من الباحثين المحدثين .. وليس هناك أجمع فى التعريف مما يقوله الأستاذ الدكتور . محمد حسين الذهبى .. رحمه الله .. إذ يقول ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهرة

(١) راجع .. الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير لفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد بن محمد أبو شهبه ص ٥ ط الهيئة العامة لشئون المطابع.

(٢) راجع .. دائرة معارف القرن العشرين .. لمحمد فريد وجدى - تحت كلمة إسرائيل ج ١ ص ٢٨٠ ط دار الفكر بتصرف .

على القصص الذي يروى أصلاً عن مصادر يهودية يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على كل ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودية فهو في إصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة - في أصل روايتها - إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما .. بل توسع المفسرين والمحدثين فعدوا من الإسرائيليات مادسه أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام وضعوها بخبث نية وسوء طوية ثم دسوها على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين كقصة "الفرانيق" وقصة "زينب بنت جحش" رضى الله عنها وزواج "الرسول - ﷺ -" منها ... وإنما أطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودي على غيره. (١)

وقال أيضاً ... وإنما أطلقنا لفظ الإسرائيليات من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني فإن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه وذلك لكثرة أهله وظهور أمرهم وبسطة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم ودخل الناس في دين الله أفواجا ... كان لليهود ثقافة دينية. وكان للنصارى ثقافة دينية كذلك وكلتا الثقافتين كان لها أثر في التفسير إلى حد ما .. (٢)

أما عن موقف الإمام الطبري .. رحمه الله .. من الإسرائيليات .. فلقد تساهل في كثير من الإسرائيليات التي سكنت عنها شرعنا ونحن في غنى

(١) راجع .. الإسرائيليات في التفسير والحديث .. لفضيلة الأستاذ الدكتور . محمد حسين الذهبي - ص ٢٠ - ٢٢ ط دار الكتب الحديثة القاهرة .

(٢) راجع .. التفسير والمفسرون .. لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد حسين الذهبي ج ١ ص ١٦٥ .

عنها .. ويأتى فى تفسيره بأخبار مأخوذة من القصص الإسرائيلى ويرويها بإسناده إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه وابن جريج والسدى وغيرهم. ونراه ينقل عن محمد بن إسحق كثيراً مما رواه عن مسلمة النصارى.

ويلاحظ ذلك .. المستشرق جولد تسيهر إذ يقول ..

وهو يتوسع كذلك فى استخدام المصادر اليهودية الأصل (كعب الأحبار - ووهب بن منبه) ^(١) فيما يتصل بقصص الإسرائيليات ولم يكن فى ذلك لينال موافقة سلفه الذين سبقوه ضربة لازب بل كتابه أغزر الكنوز بالنصوص المنتشرة فى الأوساط الاسلامية من مواد الإسرائيليات كذلك الأساطير النصرانية يرويها راجعاً إلى وهب بن منبه .. ^(٢) ومما يسترعى الإهتمام هذا النموذج من الإسناد .. عن أبى اسحاق عن أبى عتاب وهو رجل من تغلب كان نصرانياً عمراً من دهره ثم أسلم بعد فقرأ القرآن وفقه فى الدين وكان فيما ذكر أنه كان نصرانياً أربعين سنة ثم عمر فى الإسلام أربعين سنة أخرى ... وهذا روى تفسيراً للإصحاح « ٥٣ » فما بعده من اشعيا .. والآية الثالثة من سورة البقرة على ذلك إخبار بأخر أنبياء بنى اسرائيل. ^(٣) وفى قصة نبي القرنين ورد بهذا الإسناد محمد بن اسحاق .. أخبرنا بعض من أسلم من أهل الكتاب مما كان عنده علم بتاريخ العجم. ^(٤)

ومما يسم اهتمامه بطابع الجد والصرامة موقفه من ضروب التعمق الفارغ فى دقائق قليلة الغناء يعنى بها بعض الرواة فى أسلوب من السذاجة

(١) راجع فى ذلك .. جامع البيان .. للطبرى ج ٦ ص ٨٦ أسماء اليهود الأثنى عشر.

(٢) راجع فى ذلك .. جامع البيان .. للطبرى ج ٣ ص ١٤٧ - ١٧٧ مولد المسيح وحياته.

(٣) راجع فى ذلك .. جامع البيان .. للطبرى ج ١٥ ص ٢٢ الآية الثامنة من سورة الإسراء.

(٤) راجع فى ذلك .. جامع البيان .. للطبرى ج ١٦ ص ١٢.

.. فإذا سأل سائل عن المائدة (الآيات ١١٢ - ١١٥ من سورة المائدة) التي أنزلت بسؤال عيسى من السماء، هل كان عليها طعام، وهل كان سمكاً أو خبزاً أو ثماراً من ثمار الجنة أو غير ذلك .. (١) قال العلم بذلك غير نافع ولا صار الجهل به ضاراً ويكفى الإقرار من القارئ بالآية بظاهر ما احتمله التأويل..

وهل شعيب هو يثرون (يثرى) أو الأخير ابن أخى شعيب كما ظن بعضهم؟ هذا على حد سواء «ولا يدرك علمه إلا بخبر ولا خبر بذلك حجته». (٢)

وطبقاً لما ورد في القرآن الآية (٢٠) من سورة يوسف - باع يوسف أخوته بثمن بخس دراهم معدودة فالفسرون القدامى يريدون أن يعلموا على وجه التحديد هل كانت (٢٢) درهماً - (درهمان لكل واحد الأخوة الأحد عشر) أو ٢٠ درهماً أو ٤٠ درهماً ...

فيقول الطبري .. والصواب من القول في ذلك أن يقال - إن الله أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة ولم يحدد ذلك بوزن ولا عدد ولا وضع عليه دلالة من كتاب ولا خبر من الرسول وقد يحتمل أنه كان عشرين ويحتمل كذلك أن يكون كان اثنين وعشرين وأن يكون كان أربعين وأقل من ذلك وأكثر. وأي ذلك كان فإنها معدودة غير موزونة، وليس في العلم بمبلغ ذلك فائدة تقع في دين ولا في الجهل به ضرر فيه والإيمان بظاهر التنزيل فرض وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه .. (٣)

(١) راجع في ذلك .. جامع البيان .. للطبري ج ٧ ص ٨٢ .

(٢) راجع في ذلك .. جامع البيان .. للطبري ج ٢٠ ص ٢٧ .

(٣) راجع في ذلك .. جامع البيان .. للطبري ج ١٢ ص ٩٧ .

كذلك لا فائدة من التخمين في تسمية النبي المبهم في الآية (٢٥٩) من سورة البقرة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه هل هو إرميا أو عزيز..^(١) ولا في معرفة نوع الإيذاء الذي ألحقه الإسرائيليون بموسى .^(٢) في الآية (٦٩) من سورة الأحزاب .. وفي الآيتين (٧٢ - ٧٣) من سورة البقرة ذكر من تاريخ الإسرائيلين ... ﴿وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها - أي ببعض البقرة المعروفة أو صافها التي أمر الله في الآيات السابقة بذبحها - كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾

والتفسير المأثور لهذه القصة .. المعتمد على معنى غامض محور الفهم للفصل (١ - ٩) من الإصحاح (٢١) من كتاب التثنية من التوراة. يفيد أن قداماء الإسرائيليين حينما أرادوا معرفة القاتل ضربوا المقتول بجزء من البقرة المذبوحة فردت إليها الحياة وكشفت عن قاتله ولم يقنع أنكيااء المفسرين بهذا التحديد العام «ببعضها» فينبغي أن يعلموا على وجه التحديد أي بعض من البقرة المذبوحة استخدام في هذا الحكم الإلهي وفي هذا نقلت أقوال مختلفة متساوية في مرتبة الصحة ولكن ذلك لم يوافق ذوق الطبرى ولا يضر الجهل بأى ذلك ضربوا القاتل ولا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم ضربوا القاتل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله وعرف القاتل.^(٣-٤)

(١) راجع في ذلك .. جامع البيان .. للطبرى ج ٣ ص ١٩ .

(٢) راجع في ذلك .. جامع البيان .. للطبرى ج ٢٢ ص ٢٢ .

(٣) راجع في ذلك .. جامع البيان .. للطبرى ج ١ ص ٢٧٣ .

(٤) راجع في ذلك .. مذاهب التفسير الإسلامى - لجولد تسيهر ص ١١١ - ١١٤ .

وتوشك هذه الملاحظات ...

أن تقر في روعنا أن الإمام الطبري رحمه الله .. قد وقع في تفسيره فريسة هذه الإسرائيليات وتلك الأساطير .. لكن الأمر على خلاف ذلك .. فقد وجد كثير من المفسرين قبله أنفسهم مطالبين بخاصة حين يواجهون الجمهور من العامة ، بأن يتوسعوا في تفصيل ما ورد الخبر عنه في القرآن موجزاً ومن ذلك قصة الخلق وقصص الأنبياء وما أشبه ذلك ، وعند ذاك استعانوا في الحصول على مثل هذه التفصيلات بمصادر ليست موضع ثقة .. ومن ثم لم يكن من المعقول أن يسكت الطبري عن هذه القصص والروايات التي كثيراً ما كان الخيال هو ملفقها فضلاً عن أن يأخذ بها ..

ومن هنا نفهم لماذا كثرت الإسرائيليات والأساطير النصرانية لدى الطبري .. فالواقع أنه ما كان يوردها ليأخذ بها . بل ليشجبها .. منطلقاً في هذا مبدأ أنها لم تصدر عن حجة توجب التسليم لها من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو إجماع من الحجة .. وقد رأينا موقفه من قبل في قصة إبراهيم عليه السلام . فيما يتصل بالآراء المختلفة حول الكلمات التي ابتلى الله بها نبيه وكيف أنه رفض تلك الأقاويل على أساس أنه لم يصح عنها بيان من الرسول - ﷺ - أو إجماع من الحجة وهكذا كان موقفه من كل التفسير القصصي . لا يشذ في مرة عن قاعدته المنهجية العامة .

... موقفة من الأحكام الفقهية ...

معنى الفقه ..

إن للفقه معنيين أحدهما لغوي .. والثاني اصطلاحى ..

أما المعنى اللغوى ..

فالفقه معناه الفهم . يقال فقه يفقه أى فهم يفهم .

قال تعالى ﴿لما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾^(١) .. أى لا

يفهمون .

وقال تعالى ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾^(٢) .. أى لا تفهمون

تسبيحهم .

وقال رسول الله - ﷺ - إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من

فقيهه^(٣) - أى علامة فهمه .

وأما المعنى الاصطلاحى ..

فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية^(٤)

وهى منصوص القرآن والسنة وما يتفرع عنها من إجماع وإجتihad.^(٥)

(١) الآية (٧٨) من سورة النساء .

(٢) الآية (٤٤) من سورة الإسراء .

(٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب الجمعة باب صلاة الجمعة وخطبتها) ج ١ ص ١٥٨ ط
الدعوة الإسلامية وشباب الأزهر - يشرح النووى .

(٤) راجع ... شرح الأسنوى نهاية السؤل .. لجمال الدين الأسنوى ج ١ ص ٢٤ ط دار الكتب
العلمية الطبعة الأولى بيروت - لبنان - ١٩٤٥ - ١٩٨١ .

(٥) راجع .. الفقه المنهجى على مذهب الإمام الشافعى .. رحمه الله .. للدكاترة .. مصطفى الخز .
مصطفى البنا . على الشورى ج ٧ ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - الطبعة
الثالثة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

أما عن موقف الإمام الطبري رحمه الله من الأحكام الفقهية في تفسيره .. فنراه يذكر الأحكام الفقهية الواردة في الآية وأقوال العلماء ومذاهبهم ويختار أحدها ويرجحه بالأدلة العلمية ويذكر إجماع الأمة ضمن ما يرجح به الأقوال. ومن الأمثلة على ذلك ما يقوله عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^(١) ما نصه .. اختلف أهل التأويل في المرافق هل هي من اليد الواجب غسلها أم لا بعد إجماع جميعهم على أن غسل اليد إليها واجب .. فقال مالك بن أنس وسئل عن قوله تعالى ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾^(٢) فقليل له .. فإنما يغسل إلى المرفقين والكعبين ولا يجاوزهما فقال لا أدري ما لا يجاوزهما أما الذي أمر به أن يبلغ به فهو المرفقان والكعبان . حدثنا يونس عن أشهب عنه .. وقال الشافعي .. لم أعلم مخالفاً في أن المرافق فيما يغسل اليدين كأنه يذهب إلى معناها ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى ..﴾^(٣) أن تغسل ﴿المَرَافِقِ﴾^(٤) ..

غسل اليدين إلى المرفقين . فالمرفقان غاية لما أوجب الله غسله من آخر اليد والغاية غير داخلية في الحد كما غير داخل الليل فيما أوجب تعالى على عباده من الصوم بقوله ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(٥) لأن الليل غاية لصوم الصائم إذا بلغه .. فقد مضى قالوا فكذلك المرافق في قوله تعالى ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^(٦) لما أوجب الله غسله من اليد وهذا قول زفر بن الهذيل، والصواب من القول في ذلك عندنا في غسل اليدين إلى المرفقين من الفرد الذي إن تركه أو شيئاً منه تارك لم تجزه الصلاة مع تركه وغسله .. فأما المرفقان وما وراعهما فإن غسل ذلك من النذب الذي ندب إليه

(١) الآية (السادسة) من سورة المائدة . عن يونس بن يعقوب . قال يونس بن يعقوب .

(٥) الآية (١٨٧) من سورة البقرة .

(٦) الآية (السادسة) من سورة المائدة .

- **عَنْهُ** - أمته فلا تفسد صلاة تارك غسلها وغسل ما وراعيها لما قد بينا قبل فيما مضى من أن كل غاية حدث بإلى فقد تحتمل في كلام العرب دخول الغاية في الحد وخروجها منه وإذا احتمل الكلام ذلك لم يجز لأحد القضاء بأنها داخلة فيه إلا لمن لا يجوز خلافه فيما بين وحكم ولا حكم بأن المرافق داخلة فيما يجب غسله ممن يجب التسليم بحكمه (١)

... موقفه من التفسير بالرأى ...

تعريف التفسير بالرأى ..

هو عبارة عن تفسير القرآن بالإجتهد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها واستعانتها في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر ... (٢)

أما عن موقف الإمام الطبري من هذا اللون من التفسير فنراه يذكر في مقدمة تفسيره بعد الأحاديث التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن

بالرأى ... هي ..

(١) راجع في ذلك .. جامع البيان .. الطبري ج ٤ ص ١٢٤ .

(٢) راجع .. التفسير والمفسرون .. ج ١ ص ٢٥٥ .

١- حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي قال حدثنا شريك عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي - ﷺ - قال ... من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ... (١)

٢- وقال أيضاً حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا يحيى بن سعيد قال حدثنا سفيان قال حدثنا عبد الأعلى . هو ابن عامر الثعلبي - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي - ﷺ - قال : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار. (٢)

٣- وقال كذلك. وحدثنا أبو كريب قال حدثنا محمد بن بشر وقبيصة عن سفيان عن عبد الأعلى قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار (٣).

٤- وحدثنا محمد بن حميد قال حدثنا الحكم بن بشير قال حدثنا عمرو بن قيس الملائي عن عبد الأعلى محمد سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار (٤).

٥- حدثنا بن حميد قال حدثنا جرير عن ليث عن بكرى سيد بن جبير عن ابن عباس قال: من تكلم في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار (٥).

(١، ٢، ٣، ٤، ٥) هذه الأحاديث أخرجها جميعاً الإمام الطبري - بلفظ متفق تقريباً وكلها تدور على عبد الله بن عامر الثعلبي. وقد تكلموا فيه كما نقل ذلك الشيخ أحمد شاكر رحمه الله. وحقق القول في صحة هذه الأحاديث وقد قال الترمذي في حديث ابن عباس وأخرجه من طريق أخرى - « هذا حديث حسن صحيح » جامع البيان .. للطبري ج ١ ص ٧٧ - ٧٨ ، وسنن الترمذي ج ٥ ص ١٩٩ .

٦- وحدثني أبو السائب سالم بن جنادة السوائي قال حدثنا حفص بن غياث الحسن بن عبيد الله عن إبراهيم عن أبي معمر قال . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أي أرض تغلني وأي سماء تظلني قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم^(١).

٧- حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن أبي معمر قال . قال أبو بكر : أي أرض تغلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم^(١).

ويعلق الإمام الطبري رحمه الله على هذه الأحاديث بقوله :

وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا من أن ما كان من تأويل أي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو ينصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه بل القائل في ذلك برأيه وإن أصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله فيه برأيه .. لأن أصابته ليست إصابة موقن أنه محق وإنما هو إصابة خارص وظان والقائل في دين الله بالظن قائل على الله مالم يعلم وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده فقال : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبيغي بغير الحق . وإن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾^(٢)

فالقائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعل الله له إليه بيانه قائل بما لا يعلم وإن وافق قلبه ذلك في تأويل ما أراد الله به من معناه . لأن القائل فيه بغير علم قائل على الله

(١ - ٢) راجع ... جامع البيان للطبري ج ١ ص ٧٨ وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٤٧٢ ط المكتبة التوفيقية.

(٢) الآية (٢٢) من سورة الأعراف .

مألا علم له به وهذا هو معنى الخبر الذي حدثنا به العباس بن عبد العظيم العنبري قال : حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا سهيل بن أبي حزم قال حدثنا أبو عمران الخويني عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ^(١).

يعنى صلى الله عليه وسلم أنه قد أخطأ في فعله بقلبه فيه برأيه . وإن وافق قلبه ذلك عين الصواب عند الله . لأن قلبه فيه برأيه . ليس بقليل عالم من أن الذي قال فيه من قول حق وصواب فهو قائل على الله بما لا يعلم . فهو أثم بفعله ما قد نهى عنه وحظر عليه ..^(٢).

وفى كل ماضى يبدو لنا أن الإمام الطبري . رحمه الله . شديد التمسك بالمأثور رافضاً لكل ما كان من باب الإجتهد والرأى الخاص . ويوشك هذا كله أن يلقي في روعنا أنه لم يكن في تفسيره صاحب رأى أو أنه كان يقبل التفسير الذى ترفعه الرواية إلى ابن عباس مثلاً من الصحابة أو إلى تلميذه مجاهد من التابعين ويسلم بصحته كأننا ما كان ولكن الحقيقة على خلاف ذلك

لقد مارس الإمام الطبري في تفسيره أسلوبين من النقد كان منهجه نفسه يفرضهما عليه فرضاً . وهما أيضاً أسلوبان معروفان لدى الفقهاء وعلماء الحديث .

الأول : يعرف بالنقد الخارجى وهو النقد الذى يتجه إلى سلاسل رجال السند .

والثانى : يعرف بالنقد الداخلى وهو الذى يتجه إلى نص الرواية .

(١) قال الترمذى رحمه الله : وقد تكلم بعض أهل الحديث فى سهيل بن حزم = سنن الترمذى ج ٥ ص ٢٠٠ رقم ٢٩٥٢

(٢) راجع .. جامع البيان .. للطبري ج ١ ص ٢٧ ط دار المعرفة - بيروت .

فقى الحالة الأولى. نجد الإمام الطبري رحمه الله ... حريصا دائما على توافر الثقة في الرواة الذين ينقلون الخبر فإذا لم تتوافر الثقة فيهم منح نفسه الحق في رفض روايتهم . فهو مرة يعقب على خبر روى ابن عباس بقوله : وهذا قول روى عن ابن عباس بقول غير مرتضى عند أهل النقل^(١).

فهو هنا يشك في صحة الإسناد ولايسلم تفسيراً مطلقاً بالتفسيرالذي ورد عن تلك الروايات .. وهو مرة أخرى يقول عن مجاهد . الذي تحبب إليه فيما عدا ذلك متابعتة ... إن رأيه يخالف إجماع الحجة الذين لايمكن نسبتهم إلى الكذب^(٢).

وأيضا فإنه يضعف في بعض المواضع أسانيد (أبي زهير وجويبر والضحاك) عن ابن عباس^(٣).. ولكن حيثما ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الأخذ ببيان الرسول أولى أما إذا كانت الروايات النقلية لغير الرسول فإن الطبري يقف منها موقف الرجح^(٤).

ومن هذا وذلك يتضح لنا أن الإمام الطبري كان ظهيراً قوياً لمنهج التفسير بالمأثور وكانت له خصيته البارزة في إطار هذا المنهج . موقفه من المباحث الكلامية^(٥).

لقد تعرض الإمام الطبري رحمه الله .. في تفسيره .. لبعض النواحي الكلامية عند كثير من آيات القرآن الكريم .. مما يشهد له بالتفرد في أمور

(١) راجع .. جامع البيان .. للطبري .. ج١٢ ص ١٠٠ ط مصطفى البابي الحلبي .

(٢) راجع .. مذاهب التفسير الإسلامي . لجولد تسيير ص ١١٠ .

(٣) راجع .. مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيير ص ١١٠ هامش رقم (٢) .

(٤) راجع ... مناهج في التفسير . للجويني ص ٣٦٧ .

(٥) العقيدة الإيمانية هي أول ما يطلب من المؤمن وعليها يتبنى الدين وهي أول الأمر وآخره .. وعلم الكلام من أهم العلوم في مواجهة أعداء الإيمان بالعقيدة خاصة طغيان المادة وتيارات الإلحاد ... راجع دراسات في العقيدة وعلم الكلام - للدكتور عابد منصور عابد ص ٢ ط وزارة الأوقاف المصرية .

العقيدة وكثيراً ما تصدى للرد على المعتزلة في كثير من آرائهم الإعتقادية. كحديثهم عن رؤية الله . كما كان يذهب إلى ما ذهب إليه السلف من عدم صرف آيات الصفات عن ظاهرها مع المعارضة لفكرة التجسيم والتشبيه والرد على أولئك الذين يشبهون الله بالإنسان .

يقول جولد تسيهر^(١) : وهو يسوق الجدل مع المتكلمين في مسألة سابق علم الله الشامل للمعاصي . وفي مدلول الرؤية الحسية لله . حيث يحارب تفسير المعتزلة المجازي بشدة دون أن يذكر تسميتهم . وهو على وجه العموم يرفض طريقة التفسير المجازي المحببة إلى مدرسة أهل الرأي . وينضم إلى رواية ثقات الرواة من القدماء في فهم هذه الأمور على وجه مطابق للفظ . فهو يبدى ذلك على سبيل التمثيل في مثال . قليل الأهمية من ناحية العقيدة في الآية (٧٤ من سورة البقرة) . ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ فقد فسر مفسرون قدماء خشية الله المنسوبة إلى الحجارة من وجهة نظر بلاغية .. حقا ليس لدى الطبري ما يعترض به في هذا الموضوع من حيث المبدأ على مثل هذه الوجوه من التفسير فهي تتمشى مع الغرض من ألفاظ القرآن بيد أنه يقول «ولكن تأويل أهل التأويل من علماء السلف بخلافها فلذلك لم نستجز صرف تأويل الآية إلى معنى منها»^(٢) .

وخشية الله المفترضة في الحجارة ينبغي أن تفهم على ظاهرها مثل حين الجذع للنبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ذلك كان منه ويكون بأن الله أعطى بعض الحجارة المعرفة والفهم فعقل طاعة الله فأطاعه»^(٣) .

(١) وذلك في كتابه .. مذاهب التفسير الإسلامي ص ١١٧-١٢٠ .

(٢) راجع . جامع البيان ... للطبري ج١ ص ٢٩٠ .

(٣) راجع . جامع البيان ... للطبري ج١ ص ٢٨٩ .

ويقول أيضا . وهو يعارض أشد صرامة وعنفا فهم التجسد في عبارات التشبيه المضافة إلى الله سبحانه وتعالى والذهاب إلى أن مثل هذه العبارات دالة على صفات الله الحقيقية وهذا يتضح على وجه الخصوص من إستطراده بمناسبة الآية (٦٤ من سورة المائدة) ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطان﴾ . فقد اختلف أهل الجدل وهم المتكلمون في تأويل قوله تعالى ﴿بل يداه مبسوطان﴾ .

فقال بعضهم ... مع الرجوع دائما إلى الإستعمال العربى .. عنى باليد النعمة أو القدرة أو الملك وقال آخرون . بل يد الله صفة من صفاته . هى يد غير أنها ليست بجارحة واستدلوا على استحالة الوجه الأول بأدلة منها .

١- الآية التى تفيد أن الله خلق آدم بيده . فاليد فيها لايمكن أن تكون دالة على النعمة أو القدرة ... الخ. إذ كان المراد ذكر خصوصية لآدم هى أن الله خلقه خصيصا بيده على خلاف بقية الخلق .

٢- أن التثنية على ذلك المعنى المجازى لن يكون لها معنى ... إذ على ذلك يكون معنى ﴿بل يداه مبسوطان﴾ رحمتا لله مبسوطتان وقد يتأتى المعنى المجازى فى حالة الأفراد أما فى مثل هذه التثنية فلا ريب أن المعنى يكون غير مقبول^(١) .

والإمام الطبرى يجزم بالرأى الثانى (الصفة) مع الرجوع إلى الدلالة اللفظية لكثير من النقول وإلى رأى العلماء ...

والواقع أن الإمام الطبرى رحمه الله ... كان صريحا فى معارضته لكل مناهج التفسير الأخرى التى عرفتھا الفرق الدينية المختلفة كالمعتزلة

(١) راجع .. فى ذلك مناهج التفسير الإسلامى . ص ١١٨-١١٩ - وجامع البيان . للطبرى ج٦ ص

والخوارج والجهمية وغير ذلك وكل ما كان من باب الرأى الشخصى
والإجتهد الخاص وكل ما هو من باب التفسير المجازى الذى كان له رواج
عند الآخذين بالتفسير بالرأى ...

موقفه من الشعر ..

لقد استعان الإمام الطبرى رحمه الله.. فى تفسيره بشواهد من الشعر
القديم . كطريقة الصحابى الجليل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ..
والتي فتح بها باب التفسير اللغوى عندما استعان على تفسير الغريب^(١) من
آيات القرآن بالشعر العربى ومن الأمثلة على ذلك :

١- عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿... فلا تجعلوا لله أندادا...﴾^(٢) يقول
مانصه :

والأنداد : جمع ند ... والند العدل والمثل ... كما قال حسان

أتهجوه وأست له بند فشركما لخيركما الفداء

(١) الغريب : من ألفاظ القرآن الكريم هو ماشق على المرء إدراك معناه بمجرد سماعه أو هو ما لا
يستطيع فهمه إلا بعد فكر وجهد، وقد وجدنا من قدامى العلماء - (حمد بن محمد الخطابى) من
عرف الغريب فقال : الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد عن الفهم . كما أن الغريب من
الناس إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل .
= غريب القرآن رجاله ومناهجهم .. لفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الحميد سيد طلب من ٢٦ ط وزارة
الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت ..

- ويوضح الراجعى رحمه الله .. معنى الغريب فى القرآن وكان له رأى خاص فيقول . (فى القرآن
الكريم ألفاظ إصطلاح العلماء على تسميتها (بالغرائب) وليس المراد من غرابيتها أنها مفكرة أو
نافرة أو شاذة فإن القرآن منزّه عن هذا جميعه . وإنما اللفظة العربية هاهنا هى التى تكون خشنة
مستغربة فى التأويل بحيث لا يتسارى فى العلم بها أهليا وسائر الناس).
= إعجاز القرآن .. للراجعى - ص ٧٤ الإستقامة - مصر - الطبعة السادسة .
(٢) الآية ٢٢ من سورة البقرة .

يعنى بقوله .. واست له بند . لست له بمثل ولا عدل . وكل شئى كان نظيراً
وشبيها فهو له ند (١).

٢- وعند تفسيره أيضاً لقول الله تعالى ﴿ أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق
منهم يل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ (٢) مانصه وأما النبذ فأصله فى كلام العرب
الطرح ولذلك قيل للملقوط المنبوذ لأنه مطروح مرمى به ومنه سمي النبذ
نبيذاً لأنه زبيب أو تمر يطرح فى وعاء ثم يعالج بالماء وأصله مفعول
صرف إلى فعيل أعنى أن النبذ أصله منبوذ ثم صرف إلى فعيل فقيل
نبيذ كما قيل كف خضيب ولحية دهنين يعنى مخضوية ومدهونة . يقال منه
نبيذته أنبذه نبيذاً .. كما قال أبو الأسود الديالى (نظرت إلى عنوانه فنبيذته
... كنبذك نعلأ أخلقت من نعالكا) فمعنى قوله جل ذكره نبذه فريق منهم
طرحه منهم فريق فتركه ورفضه ونقضه (٣).

٣- وعند تفسيره كذلك لقوله تعالى ﴿ ولكنا أنشأنا قرونا فتناول عليهم العمر
وماكنت ثاويأ فى أهل مدين تلورا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين ﴾ (٤).

يعنى تعالى ذكره بقوله ولكنا أنشأنا قرونا . ولكنا خلقنا أمما .. فأحدثناهم
من بعد ذلك فتناول عليهم العمر . وقوله وماكنت ثاويأ فى أهل مدين . يقول
وماكنت مقيما فى أهل مدين يقال ثويت بالمكان أثوى به ثواها .

(١) راجع ... جامع البيان ... للطبرى ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) الآية (٦٠٠) من سورة البقرة .

(٣) راجع ... جامع البيان ... للطبرى ج ١ ص ٢٥١ .

(٤) الآية (٤٥) من سورة القصص .

قال أعشى ثعلبة :

أثوى وقصر ليله ليزوداً ومضى وأخلف من قتيلة موعداً

وينحو الذى قلنا قال أهل التأويل (١).

موقفه من المذاهب النحوية .

كان رحمه الله يوجه الأقوال عند تفسيره للمذاهب النحوية عند البصريين والكوفيين فى النحو والصرف ... ومن الأمثلة على ذلك :

١- يقول رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿ ... خذوا ما آتيناكم بقوة ... ﴾ (٢) مانصه ..

اختلف أهل العربية فى تأويل ذلك فقال بعض نحويى أهل البصرة : هو مما استغنى بدلالة الظاهر المذكور عما ترك ذكره له وذلك أن معنى الكلام ورفعنا فوقكم الطور وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم بقوة وإلا قذفناه عليكم ...

وقال بعض نحويى أهل الكوفة : أخذ الميثاق قول فلا حاجة بالكلام إلى إضمار قول فيه فيكون من كلامين غير أنه ينبغى لكل ماخالف القول من الكلام الذى هو معنى القول أن يكون معه أن كما قال جل ثناؤه ﴿ إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك ﴾ (٣) . قال ويجوز أن تحذف أن .. والصواب فى ذلك عندنا أن كل كلام نطق به مفهوم به معنى ماأريد فقيه الكفاية من غيره

(١) راجع .. جامع البيان - للطبرى - ج ٢٠ - ص ٥١ .

(٢) الآية (٦٣) من سورة البقرة .

(٣) الآية (الاولى) من سورة نوح .